السُلَّمياتُ الحجاجية في المفاخرات الخيالية في النثر العربي ودورها في عملية الإقناع

أ.م.د. عرفات فيصل المناع
م.م. حيدر عبد العالي جاسم
جامعة البصرة – كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الخلاصة:

تقوم نظرية الحجاج في اللغة التي وَضَعَ أُسُسَها أوزفالد ديكرو وجون كلود أنسكومبر والتي وجّهتْ اهتمامها صوب الحجاج داخل اللغة على مجموعة من الوسائل اللغوية ، من تلك الوسائل (السلميات الحجاجية) التي تقوم على ترتيب الحجج بشكل متسلسل من الحجة الضعيفة إلى الحجة الأقوى التي لا يمكن إنكارها ، إذ تعد أقوى الحجج المقدَّمة لذا يكون مكانها في أعلى السُلَّم.

إنّ المتكلم عند ترتيب حججه بحسب القوة يهدف إلى تحقيق نتائج معيّنة عبر تقديم مجموعة من الحجج لها تأثير في المتلقي يمكنها أن تصل به إلى الإذعان والتسليم وتوجيهه نحو قبول تلك النتائج .

سأحاول تطبيق موضوع السلم الحجاجي على نصٍّ أدبي من تراثنا العربي هو (المفاخرات الخيالية في النثر العربي).

الكلمات المفتاحيّة: السلم، الحجاج، المفاخرة، الخيالية، الإقناع.

Sequential Arguments in Imaginary Bragging in Arabic Prose And its role in the process of persuasion

Lecturer: Hayder Abdulaali Jassim
Prof. Assist. Arafat Faisal Almanaa
University of Basra / College of Arts / University of Basra

Abstract

The theory of Sequential Arguments in the language is founded by Oswald Dicro and John Claude Enscomper, whose attention to Sequential Arguments within the language is based on a range of linguistic means. From these means are the arguments, which are based on the arrangement of arguments in a sequential manner from the weak to the strongest argument the the strongest as it arguments presented so it is located at the top.

the speaker in the sequence of his arguments according to force aims to achieve certain results by presenting a set of arguments that have an impact on the recipient that can make him comply, admit, and direct him to accept those results.The goal of this study is to apply the subject of the Sequential Arguments to a literery text of our Arab heritage represented by(the Imaginary Bragging in Arabic Prose).

Keywords: sequence-argument-bragging-imaginary-persuasion.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

المقـــــــــــدِّمة:

المفاخرة الخيالية هي ((محاورة بين اثنين أو أكثر من غير العقلاء يُشخَّص فيها المتحاورون ، ويعارض أحدهم الآخر ليفحمه بحججه التي يراها مناسبة ، وذلك لتحقيق غاية ارتآها الأديب من مفاخرتهِ))[١] . فهي تختص بغير العقلاء.

والمراد بخيالية المفاخرة أنّ الكاتب ((يجرد من نفسه شخصيتين خياليتين أو أكثر ، ويجعل هذه الشخصيات تتحاور وتتجادل وتتنافر في ذهنه وهو يُسَطِّرُ صراعَها وخِصامَها في نصٍّ واحدٍ))[٢]. فالمفاخرة تكون خياليةً عندما تدور بين غير العقلاء كالشمس والقمر والماء والهواء والسيف والقلم وغير ذلك، إذ يذكر فيها كل شخص خصاله ومحاسنه في مقابل مساوئ خصمه.

إنّ مؤلِّف المفاخرة الخيالية يقوم بتصوير الواقع بطريقة خيالية رمزية ، فالخيال يُظْهِرُ المعاني المخبوءة المحسوسة ويجعلها رموزاً روحية فكرية.[٣]

لقد اعتمدتْ المفاخراتُ الخياليةُ أُسلوبَ التشخيصِ الخيالي الذي يُحرِّكُ الجمادَ فيجعله ينطقُ ويجادلُ ويناقشُ، فيتقمصُ المؤلِّفُ شخصياتِ الجمادِ والطبيعةِ كالهواء والبحر والبيت والمسجد وغيرها ، فيعطيها الروحَ الإنسانيةَ من إحساسٍ وتفكيرٍ ، مما له شأنٌ في معالجةِ قضايا المجتمعِ والدولةِ والحكمِ والاشارةِ الى مكامنِ الخللِ بغيةَ الدعوةِ للإصلاحِ، فضلاً عن تجسيد تلك المفاخرات للترفيه والتسلية في مجالس الأدباء، ويمكن القول: إن المفاخرة الخيالية تقوم في الأساس على اصطناع مفاخرة من خيال المؤلف يُشخِّص فيها المتفاخرين ويجري بينهم حواراً يمكن من خلاله أن يعبِّر عن رؤية فكريّة يسعى لها المؤلف لتحقيق أهداف معينة [٤].

السلم الحجاجي:

السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج[٥]، عندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما ، علاقة ترتيبية معينة ،إذ يمكن ترتيب الحجج بشكل متدرج يعلو بعضها بعضاً حينما تستلزم نتيجة واحدة، فالحجج بطبيعتها متفاوتة في القوة ، لذا تأتي متدرجة بمراتب من الأضعف إلى الأقوى بشكل تصاعدي على وفق قوتها، وقد عرّف الدكتور طه عبد الرحمن السلميات الحِجَاجية بأنّها ((مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية و موفية بالشرطين التاليين[*]:

أ–كلّ قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب– كلّ قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه))[٦]. و((يقول ديكرو: إنّ أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (لحجج) نسميه سلماً حجاجياً))[٧]، فعندما

نقول:

حصل زيد على شهادة البكالوريوس ن (كفاءة زيد العلمية)

وحصل على شهادة الماجستير حصل على شهادة الدكتوراه

بل حصل على شهادة الدكتوراه حصل على شهادة الماجستير

حصل على شهادة البكالوريوس

فهذه الحجج تتجه نحو نتيجة واحدة هي (كفاءة زيد العلمية)، وإن الحجة الأخيرة المتمثِّلة بحصول زيد على شهادة الدكتوراه هي الحجة الأقوى التي لها الأثر الأكبر في المتلقي وإقناعه ، والتي ينبغي أن ترد في أعلى درجات السلم[٨] ، وإذا لا حظنا هذه الحجج لوجدناها تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، يمكن أنْ تُشَكِّلَ بحسب قوّتها تراتبية ، وهو مايُعْرَف بـــ(السلم الحجاجي)، ففيه تتدافع الحجج وتترتب بحسب قوتها، فلا تثبت في إسناد النتيجة إلا الحجة الأقوى، وهذا الترتيب يقوم به المتكلم عن قصد لدعم الدعوى التي يقدمها[٩]، ولهذا فالسلم الحجاجي يتعلق بالحجاج الفني، الذي يقصد منه التوجيه الحجاجي الخفي الكامن في اللغة عبر ترتيب الحجج فيها، فديكرو وأنسكومبر قسّما الحجاج في نظريتهما على قسمين: حجاج بالمعنى العادي، الذي يتشكل عبر عرض الحجج وتقديمها بهدف التأثير في المتلقي، وغايته إنجاح الخطاب، والحجاج بالمعنى الفني، الذي يَتَشَكَّل عِبْرَ مجموعة العلاقات الخاصة المتواجدة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتوى الدلالي ، فتظهر في العلاقة الحجاجية التدرجية المتمثلة بالسلم الحجاجي ومن ثم التوجيه الحجاجي[١٠]، فمفهوم السلم الحجاجي عند ديكرو يرتبط بالنتيجة ، أي عندما تنتمي أكثر من حجة إلى حقل حجاجي واحد فإنَّها تخدمُ النتيجةَ نفسَها، وإنْ كانتْ هذه الحججُ تختلف من حيث القوة والضعف، وفي الوقتِ ذاتِه فإنَّ هذه الحججَ تُمثِّلُ اختيارَ المتكلمِ بوصفِها أدلةً تخدمُ النتيجةَ التي يسعى إلى تحقيقها[١١] ، فللمتكلم دور في ترتيب السلم الحجاجي بحسب ما يراه، فإنّ الحجة الواحدة قد ترتقي إلى أعلى السلم من وجهة نظر معينة وقد تدنو إلى أدنى السلم بحسب وجهة نظر أخرى [١٢]، وإنّ هناك تلازماً في عمل المحاجة بين القول الحجة ونتيجته، وإنّ هذا التلازم لا يتحقق إلا بإضافة الحجة إلى نتيجتها المصرح بها أو الضمنية[١٣]. والسلّم الحِجَاجي يعتمد على ترتيب الحجج عمودياً ابتداءً من الحجّة الضعيفة إلى الحجّة القوية فالأقوى في فئة حجاجية واحدة، و إنّ هذه الحجج لا تتساوى بل تتدرج في قوتها ،وبذلك تقوم السُّلَّميّة الحجاجية ((على استغلال العلاقة التراتبية المتدرجة كي تدافع عن فكرة ما)) [١٤] ، ما يعني أنّ ((السلم الحجاجي بتركيزه على الطابع المتدرج والموجِّه للأقوال يبيّن أنّ المحاجة ليستْ مطلقة إذ لا تتحدد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون، وإنّما هي رهينة اختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة لذلك فالحكم على المحاجّة أساسه القوة والضعف اعتباراً لطابع التدرج فيها لا الصدق والكذب)) [١٥] ، أي إن التراتب في الحجج بمختلف أنواعها يكون متسلسلاً في درجته، فيكون الاختيار على وفق القوة والضعف وليس الصدق والكذب، وهذا التسلسل هو معيار لإثبات الحجاج في

اللغة من أجل إبراز القيمة الحجاجية التي لا تكون نتيجة المعلومات التي يؤديها الملفوظ فقط ، وإنّما يمكن أن تتضمن عدداً من المورفيمات والعبارات والصيغ التي من شأنها أنْ توجِّه المتلقي نحو وجهة حجاجية مُعيَّنة[١٦]، وفي الوقت ذاته فإن هذه الحجج لا تقطع قطعاً نهائياً في إثبات النتيجة التي تساندها ، بخلاف الأدلة البرهانية فهي تنتهي إلى نتيجة قطعية، هذا ما قرره ديكرو في كتابه (السلالم الحجاجية) الذي نشره سنة ١٩٨٠ [١٧]. فالحجج تتفاوت في قوتها التدليلية، بسبب تدرجها بحسب القوة والضعف، وهذا التدرّج في الحجج، هو ما يكسب الحجاج إمكاناته المتعددة ، فالحجة في نظر ديكرو تؤكد النتيجة ولا تفرضها فرضاً كما هو في الاستدلالات البرهانية الرياضية؛ لأنّ الفرض يلغي التعدد والتفاوت، وهذا التفاوت في قوة الحجج ينشئ ما يسمى بالسلّم الحجاجي[١٨] ، ويمكن أن يوضح هذه الفكرة البيت الآتي:

قهرناكم، حتى الكماة، فإنكم لتخشوننا، حتى بنينا الأصاغرا

فالشطر الأول من البيت يشتمل على حجتين هما: (قهرناكم) و(قهرنا كماتكم) وهما يخدمان نتيجة واحدة وردت في الشطر الثاني منه: (أنتم تهابوننا). فهاتان الحجتان غير متساويتين في القوة ، وإنما الحجة الثانية التي جاءت بعد الرابط حتى (حتى الكماة) هي الأقوى. ويمكن توضيح ذلك بالسلم الآتي:

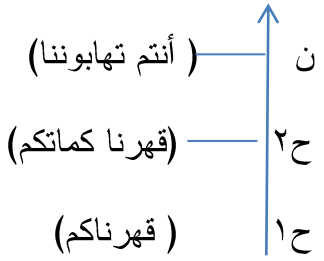

وإنّ الشطر الثاني من البيت ذاته اشتمل على حجتين تؤكد ضعف الخصوم وهوانهم: (أنتم تخشوننا) و(أنتم تخشون بنينا الأصاغرا) وهما تؤديان إلى نتيجة ضمنية مضمرة من قبيل(أنتم ضعفاء) أو (أنتم جبناء) أو غيرهما من النتائج المحتملة، وإنّ الحجة الأخيرة(أنتم تخشون بنينا الأصاغرا) هي الحجة الأقوى [١٩].

ويمكن توضح بالسلم الآتي:

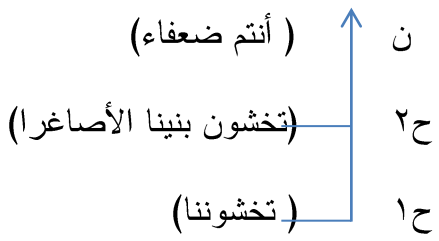

لهذا يمكن أن يبنى السلم الحجاجي للملفوظات على قاعدتين: [٢٠]

القاعدة الأولى : الفئة الحجاجية [٢١]، والمقصود بها أن تتعدد الأقوال المنضوية للتدليل على نتيجة

واحدة، فيعمد المتكلّم في وضع خطابي معيّن الى وضع قولين (ق١) و (ق٢) لنتيجة، يعدّهما حجتين تخدمان النتيجة (ن) نفسها، فمثلاً :

ق١ : أكرمَ زيدٌ صديقَهُ

ق٢ : أكرمَ زيدٌ عدوَّهُ

إذ نستدل من هذين القولين على النتيجة (ن) الآتية : زيدٌ من أنبل الناس خلقاً [٢٢].

القاعدة الثانية : القوة الحجاجية : ويقصد بها أن الحجج المنتمية الى الفئة الحجاجية نفسها، تتفاوت بعلاقة تراتب، فهذه الأقوال المثبتة للمدلول الواحد لا تتعدد فحسب، بل إنها تتفاوت في قوتها التدليلية، ففيها حجج قوية، وحجج ضعيفة ، وهذا التفاوت في قوة الحجج ينشئ ما يسمى بالسلّم الحجاجي، فيكون (ق٢) : أكرمَ زيدٌ عدوَّهُ، أقوى حجية على نبل أخلاق زيد من (ق١) : أكرمَ زيدٌ صديقَهُ.

وقد صاغ ديكرو للسلم الحجاجي قوانين ثلاثة ، هي: [٢٣]

١- قانون النفي أو قانون تبديل السلم: يقتضي هذا القانون ((أنّه إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله))[٢٤]، أي أننا لو استعملنا الملفوظ (ب) للدلالة على مدلول ما ، فإنّ نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة :(لا- ن)، أي سيكون دليلاً على نقيض المدلول، بمعنى إذا كانت(ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ن) فإنّ (ليس- ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول(لا-ن)، ويمكن توضيح ذلك بالمثالين الآتيين:

-زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان

- زيد ليس مجتهداً، إنه لم ينجح في الامتحان

فإذا قبلنا القول الأول ، علينا أن نقبل القول الثاني كذلك[٢٥].

٢- قانون القلب : مقتضى هذا القانون ((أنّه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول))[٢٦]، أي أن سلم الأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية، فإذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإنّ نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة[٢٧]، و لتوضيح ذلك يضرب الدكتور أبو بكر العزاوي المثال الآتي:

((-حصل زيد على شهادة الماجستير، ثم حصل على شهادة الدكتوراه.

-لم يحصل زيد على شهادة الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير أيضاً.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير ، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه))[٢٨]، وهذا ما يجعل بناء السلم الحجاجي يسير عبر مسار تصاعدي من أجل تحقيق

الانسجام في سير الحجج ووصلها بالنتيجة المطلوبة؛ لأن النتيجة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الارتقاء عبر مسار مقبول صحيح يرسمه السلم الحجاجي ، و يمكن أن نرمز له بالآتي:

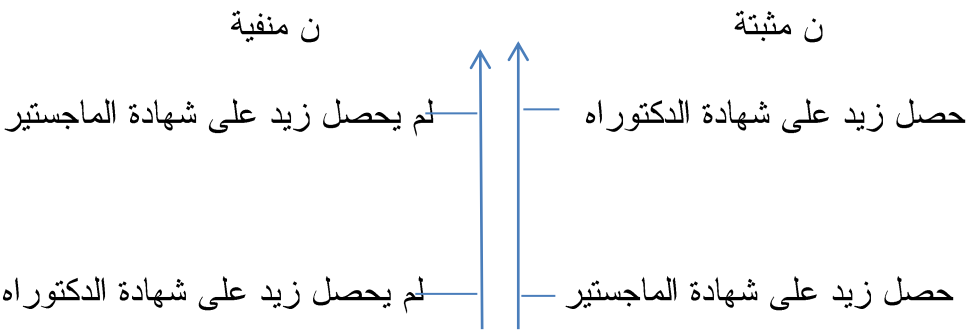

٣-قانون الخفض: ويقتضي هذا القانون ((أنّه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها))[٢٩]، فعندما نقول مثلاً:

-الجو ليس بارداً جداً.

فإن هذا القول يمكن أن يفهم منه أنه بارد أو بارد قليلاً أو ربما معتدل؛ لأنَّ هذه الاحتمالات يمكنلها أنْ تقع تحت (ليس بارداً جداً)، الذي يستلزم ما يقع تحته ، ولا يمكن أن نتصوره أنّه قارس أو من درجات أعلى في قياس البرودة ، ويمكن أن نمثل لهذا القول بالسلم الآتي:

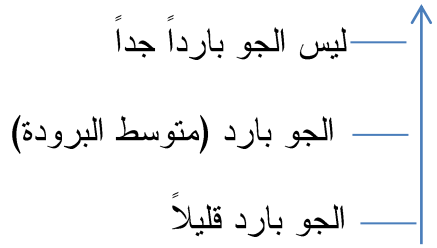

- الجو معتدل

والمفاخرات الخيالية في أغلبها حجج وردود يرتب فيها كل مفاخر حججه أو ردوده على شكل سلم حجاجي تتفاوت فيه الحجج بحسب قوتها من الأضعف إلى الأقوى التي تمثل أعلى السلم، وذلك بقصد توجيه المتلقي للاعتراف بالنتيجة الصريحة أو الضمنية ، ومن ثم التأثير في المتلقي والأخذ به إلى الإذعان والإقناع ، ويمكن توضيح ذلك بأمثلة من المفاخرات الخيالية، جاء في مفاخرة الرز والحب رمان، جاء في قول الرز: ((**أنا برّاق الثنايا ، متداول بين البرايا، لذيذ المضغة، جوهري الصبغة**))[٣٠].

نلاحظ أنّ الرز قد بدأ بالصورة البيضاء الناصعة للون الرز الأبيض البراق ووضع هذه الصورة في المرتبة الأولى من السلم الحجاجي ، لبيان جماليته وإن كانت هذه الحجة ليست قوية بما يكفي لتشارك بقية الأطعمة بها فقد ذكر حجة ثانية أقوى منها في قوله: متداول بين البرايا ، ليبين شهرته واستحسان عامة الناس له وتفضيله على غيره ، ثم يأتي بحجة أخرى في قوله : لذيذ المضغة ، لتكون حجة

أقوى تؤكد ما سبقتها من حجج ، ثم يذكر أنه جوهري الصبغة ، أي صبغته متأصلة وليست عارضة متغيرة كحال الحب رمان، وهي أقوى الحجج على أفضليته في بيان جمال الرز، لذا وضعها في أعلى السلم ليدعم بها القول برمته. فنلاحظ هناك تدرجاً وتراتبيةً في إلقاء الحجج، ونلاحظ أن هذه الحجج بينها تفاوت من حيث القوة وهي تنتمي لفئة حجاجية واحدة ، فجاءت متساندة لتخدم نتيجة واحدة هي (جمالية الرز)، لذا استحقت أن تكون ضمن سلم حجاجي واحد يمكن أن نمثل له بالشكل الآتي:

ن جمال الرز ولذة طعمه

- جوهري الصبغة
- لذيذ المضغة
- متداول بين البرايا
- برّاق الثنايا

وفي نص آخر ، قال الحب رمان في ردّه على الرز: ((**فلما سمع الحب رمان كلامه، وفهم نثره ونظامه، اضطرب وهاج، وتمايل وماج، وقال اسكت يا مبهرج، يا مدور يا مدحرج، أ لمثلي تتصدى أم علي تتعدى، وأنا رئيس الخوان ، وحبيب الإخوان، فبأي شيء علي تفتخر أو بماذا تقتدر، ولباسي لباس الزهاد، ومذاقي مذاق الفرصاد، ولوني لون المسك الأذفر، وطعمي طعم السكر، وأما أنت فلونك لون البرص، وأنت كثير الغصص**)) [٣١].

نلاحظ في هذا السلم أنّ الحجج تتدرج من الأضعف إلى الأقوى ، إذ بدأ الحب رمان بسماع كلام الرز، وبعد أن فهم مقصوده تدرجت أقواله صعوداً لتبين غضب الحب رمان واضطرابه . ثم استعد ليرد حجج خصمه ببيان مفاخره على الرز فردّ الحجة بالحجة، فذكر لباسه الوقور الذي يشبه لباس الزهاد، ومذاقه الطيب الذي يشبه مذاق التوت، ولونه الذي يشبه لون المسك، وطعمه الذي يشبه طعم السكر، فرتب تلك الحجج بحسب قوتها ، وانتهى بطعم السكر الحلو ليكون في أعلى السلم ، وجاءتْ هذه الحجج لتبين نتيجة مضمرة مفادها أن الحب رمان محبوب ومرغوب فيه أكثر من غيره.

ن الحب رمان محبوب

- طعمي طعم السكر
- لوني لون المسك
- مذاقي مذاق الفرصاد
- لباسي لباس الزهاد

ثم يتجه إلى ذم خصمه ببعض الصفات ، فيشبه لون الرز الأبيض بلون البرص ، ليبين أن البياض الشديد ليس فيه مفخرة ، بل هو لون البرص ، فجاءت هذه الحجة المضادة على وفق قانون النفي الحجاجي ، ثم يتجه لحجة أقوى (كثير الغصص) لينقض قول الرز بأنه لذيذ المضغة، فجاء ردّه : بل

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

أنت كثير الغصص ، وهي أعلى مرتبة في القوة ، وهذه الحجة يرد بها خصمه الرز ويفحمه.

ن الرز مذموم

- و أنت كثير الغصص
- لونك لون البرص

و جاء في مفاخرة النخلة والكرمة قول النخلة: ((**إنّ الله قد فضَّل بعض المخلوقات على بعض امتحاناً، ورفع بعضها على بعض درجات ابتلاءً، وإنّ لي عليك لفضلاً خصني به مُرسِلُ الرُسُلَ، وآثرني به مَن فضّل بعضاً على بعض في الأُكُل، فعليكِ التواضع والانقياد لما قضاه أحسن الخالقين، ولا تتكبري فتهلكي كما هلك إبليس اللعين، وتدبري ما أنزله ربنا في كتابه المكنون ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾**[٣٢])).[٣٣]

(ن) إنّ لي عليك لفضلاً

- ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾
- لا تتكبري فتهلكي
- عليك التواضع والانقياد
- و رفع بعضاً على بعض ابتلاءً
- فضل الله بعضاً على بعض امتحاناً

فقد بدأتِ النخلة بالحجة الضعيفة ثم تصاعدت في القوة حتى وصلت إلى الحجة الأقوى المتمثلة بالآية القرآنية التي تدعو للصبر على البلاء فتتضح بها الرؤية أكثر في الوصول إلى النتيجة . فبدأت النخلة ببيان الفروق في التفضيل التي فرق الله بها بين المخلوقات وبينتْ أن سبب ذلك هو الامتحان والابتلاء فاستدرجت بذلك الكرمة للاعتراف والرضا بقضاء الله وقدره الذي كتبه عليها ، ثم حذرتها من عدم التواضع والانقياد والقبول بالنتيجة ، ودعتها إلى اجتناب التكبر وقوت تلك الحجة بحجة التمثيل فشبهتها بتكبر إبليس، وختمت بأقوى الحجج وهو الشاهد القرآني.

وجاء في مفاخرة النرجس والورد قول الورد: ((**ويلك ما أقوى عينك وأكثر مينك*، أتجعل مقامك مقامي وأنت من بعض خدامي، ولو لم تكن قليل الحرمة، ماكنتُ جالساً وأنت واقف في الخدمة، ألك مثلي حسن منظر ومخبر، أما سمعت أنّ الحسن أحمر ، وإنْ عيّرتني بقصر مدتي، فقد استَنَبْتَ عني بخليفتي**، ولم يزل جمال المقامات، ومن خلّف مثله ما مات، أتحسبُ محاسني مثل محاسنك متناهية، وكيف ينقطع عملي ولي صدقةٌ جارية، فشتان بيني وبينك، فإن لم تنته عن جدالك، قلعتُ بشوكتي عينك**)).[٣٤]

جاء قول الورد للنرجس في هذا النص ليبين أفضليته على النرجس وأنَّ الوردَ يعلوه مرتبة ، فجاءت

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

حجج الورد بتراتبية متدرجة وهي استراتيجية الهدف منها التأثير في المتلقي (النرجس) من أجل حمله على التصديق والاقتناع، فبدأ الورد بالتمهيد لحججه بالتساؤل بقوله :(أتجعل مقامك مقامي) ليبين أن مقام الورد أعلى وحجته أنّ النرجس من بعض خدامه، ثم يأتي الورد بحجة أقوى وهي أن النرجس قليل الحرمة، وهذه الحجة مستلزمة من الحجة الأولى وناتجة عنها، وجاءت الحجة الأقوى (الورد جالس والنرجس واقف في الخدمة) لتعلل أن وقوف النرجس ما هو إلا لخدمة الورد الجالس، وهي حجة أقوى من سابقاتها تتجه نحو النتيجة المقصودة :علو مرتبة الورد على مرتبة النرجس، ويمكن تطبيق قانون الخفض على هذا السلم ، فمن كان واقفاً بالخدمة وهي الحجة الأخيرة التي وردت في أعلى السلم يمكن أن تستلزم ما تحتها من حجج مثل النرجس قليل الحرمة وهو أدنى مرتبة من الورد ، فإذا صَدَقَ هذا القولُ يصدُقُ نقيضُه ، وهو : لم يكن الورد جالساً ، ولم يكن النرجس واقفاً له بالخدمة ، ويصدُقُ ما يقع تحت هذا القول من أقوال في هذا السلم أيضاً ، أي لم يكن النرجس قليل الحرمة ، وليس هو من بعض خدام الورد ، وليس مقام النرجس أدنى ، ويمكن التمثيل لهذه الحجج على النحو الآتي:

ن الورد أعلى مقاماً من النرجس

↑

- النرجس قليل الحرمة
- الورد جالس والنرجس واقف في الخدمة
- النرجس من بعض خدام الورد

وفي النص نفسه وردت حجج تنتمي لفئة حجاجيّة أخرى تتجه نحو نتيجة واحدة تبين حسن منظر الورد ، وقد رتبت هذه الحجج بطريقة استدلالية بما أن لون الورد أحمر وأن الحسن يرتبط بهذا اللون فالنتيجة أن الورد حسن، ويمكن تمثيل هذه الحجة بالسلم الآتي:

ن الورد حسن المنظر

↑

-الحُسن أحمر

-لون الورد أحمر

وقد وردت في النص حجج أخرى تنتمي لفئة حجاجية واحدة ، أي نتيجة واحدة تبين طول مدة الورد على خلاف زعم النرجس أنه قصير المدة، فجاءت الحجج لتبين أن قصر المدة ليس عيباً بطريقة قانون النفي الحجاجي، فبرر الورد ذلك بأن الورد قد يستناب عنه بمائهِ الذي يخلفه ، ومن يخلف لا يُعَدُّ مَيْتاً بل باقياً ، والنتيجة أنَّ الوردَ ليس قصير المُدة كما يدعي النرجس، ويمكن تمثيل هذه الحجج بالسلم الآتي:

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

ن الورد طويل المدة

– ما مات الورد

–الورد يخلف مثله

– فقد يستناب عن الورد بمائه

– قصر المدة ليس عيباً

–ليس الورد قصير المدة

وجاءتْ في النص ذاته حججٌ أخرى تُبيِّنُ مَحاسِنَ الوردِ الكثيرة غير المنقطعة، فتدرجتْ هذه الحجج ببيان محاسن الورد ، وإنَّها ليست متناهية ، وإنَّها غير منقطعة بل هي صدقة جارية مستمرة .

ن محاسن الورد مستمرة

– لا ينقطع عمل الورد فله صدقة جارية

–محاسن الورد ليست متناهية

–للورد محاسن كثيرة

وجاء قول النرجس في رده قول الورد: ((**يا قليل المودة، ويا قصير المدّة، أين العيون من الخدود، وأين الجافي من الودود، أنا أوفى بميثاقي، ومن يزرني أجلسه على أحداقي، فيقول لي من أفضت عليه السرور فيضاً، لقد أكرمت ضيفك فعليك الراية البيضا، وأنت طالما جنى شوكك على من جناك، فذقت عذاب النار ذلك بما كسبت يداك، سرقت لون الحبيب وتسترت بالورق، فقطعوك والقطع حد من سرق، واستقطروا ماء دمعك وأذاقوك الحرق، وقيل لتركبن طبقاً عن طبق، وأي فخر في احمرارك الشريق، وكم بين التبر والعقيق، فلا تبهرج زيفك على خالص اللجين*، وارجع عن المناظرة فما جئتك إلا بعين، هذا ولي في السبق قصبات، وكم جلوت صدأ القلب بطيب النفحات، وإذا وفد جيش الزهر فلي في طلائعه عيون، والسابقون السابقون أولئك المقربون**)).[٣٥]

جاءت حجج النرجس متتابعة تؤكد الأقوال الإثباتية للنرجس بسلمية متصاعدة ، فجاءت الحجة الأولى لتبين مودته للآخرين ، وبينت الحجة الثانية أنّ المودة هي ميثاق قطعه النرجس على نفسه فأوفى به ، وهي حجة أقوى من الأولى، ثم جاءت الحجة الثالثة لتبين حسن ضيافته لزواره وتمتعهم بأحداقه ويقربهم إليه، والحجة الأخيرة بينت رأي الضيوف فيه بتأكيد كرمه واعترافهم بذلك بقولهم: عليك الراية البيضا، وهي أقوى الحجج المقدمة التي تتجه نحو النتيجة كرم النرجس، ويمكن تمثيل هذه الحجج بالسلم الآتي:

ن كرم النرجس

- فيقال له لقد أكرمت ضيفك فعليك الراية البيضا
- من يزر النرجس يجلسه على أحداقه
- النرجس أوفى بميثاقه
- النرجس ودود

وجاء في النص نفسه قول النرجس يبين جفاء الورد إذ عمد النرجس إلى بيان هذا الجفاء بحجة وجود الشوك في الورد وهي حجة أولى ، ثم أعطى حجة أقوى منها بينت أن الشوك يؤذي من جناه بطريقة استدلالية مقنعة، ثم قدّم حجة أخيرة بينت أن الشوك يذيق الجاني عذاب النار، وهي أقوى الحجج المقدمة التي تتجه للنتيجة جفاء الورد بعكس مودة النرجس في السلم السابق، ويمكن تمثيل هذه الحجج بالسلم الآتي:

ن جفاء الورد

- و يذيق الجاني عذاب النار
- الشوك يجني على من جناه
- للورد شوك

وجاءتْ في النص نفسه حججٌ أخرى بينت نتيجة الورد سارق من خلال تقديم حجج متتابعة بدأها بالحجة الأولى الورد يسرق لون الحبيب وهو اللون الأحمر، وهو يتستر بالورق كي لا تُرى سرقته، ثم بَيَّنَ حججاً أخرى هي أنَّ الورد يُقطع، وقطعه ليس بلا ذنب وإنما هو سارق وحد السارق القطع، ويمكن توضيح هذه الحجج بالسلمين الآتيين:

ن الورد مذنب

- القطع حد من سرق
- الورد يقطع

ن الورد سارق

- ويتستر بالورق
- الورد يسرق لون الحبيب

وجاءت في النص حجج أخرى بينت عدم وجود مِزْيَة للورد في لونه الأحمر ، فنقض بذلك النرجس أقوال خصمه الورد ، وبين أنه ليس له في ذلك فخر ، وأعطى حجة قياس وهي أفضلية التبر على العقيق ، فالتبر أفضل ورغم ذلك لونه أصفر، فجاءتْ هذه الحجج بحسب قانون القلب الحجاجي عند نفي ونقض الحجج في سلم الأقوال الإثباتية على لسان الورد ، فتصبح الحجة المثبتة الأولى الضعيفة (افتخار الورد بلونه الأحمر) فإن نفيه حجة لصالح النتيجة المضادة وستكون أقوى الحجج في أعلى سلم

الأقوال المنفية على لسان النرجس ، ويعلل ويبرر ذلك بحجة أن الذهب الأصفر أفضل من العقيق الأحمر، فالحجة الضعيفة التي كانت في أدنى السلم يجعلها أقوى الحجج في أعلى السلم ويعكس الأقوال ، ويمكن تمثيل هذه الحجج التي جاءت على لسان النرجس بالسلم الآتي:

ن ليس في احمرار الورد فخر

- اللون الأحمر ليس فيه فخر
- التبر أفضل ولونه أصفر
- كم بين التبر والعقيق من فرق

أما سلم الأقوال الإثباتية على لسان الورد فهو الآتي:

ن الورد حسن المنظر

- الحسن أحمر
- يفتخر الورد بلونه الأحمر

خاتمة البحث:

اتضح في البحث مايأتي:

١- إنّ المتكلم عند ترتيب حججه بشكل متسلسل بحسب القوة يهدف إلى تحقيق نتائج معيّنة ومقصودة عبر تقديم مجموعة من الحجج لها تأثير في المتلقي يمكنها أن تصل به إلى الإذعان والتسليم وتوجيهه نحو قبول تلك النتائج .

٢- إنّ السلم الحجاجي يتشكّل عندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة ،إذ يمكن ترتيب الحجج بشكل متدرج يعلو بعضها بعضاً حينما تستلزم نتيجة واحدة تنتمي لفئة حجاجية معينة، أي أن يكون السلم ضمن موضوع واحد محدد.

٣- بناء السلم الحجاجي يسير عبر مسار تصاعدي من أجل تحقيق الانسجام في سير الحجج ووصلها بالنتيجة المطلوبة التي يمكن الوصول إليها عبر الارتقاء في مسار مقبول صحيح يرسمه السلم الحجاجي.

٤- وجد البحث أنّ المفاخرات الخيالية في أغلبها مبنية على حجج وردود يرتب فيها كل مفاخر حججه أو ردوده على شكل سلم حجاجي تتفاوت فيه الحجج بحسب قوتها من الأضعف إلى الأقوى التي تمثل أعلى السلم، وذلك بقصد توجيه المتلقي للاعتراف بالنتيجة الصريحة أو الضمنية ، ومن ثم التأثير في المتلقي والأخذ به إلى الإذعان والإقناع .

٥- بيّن البحث أن السلم الحجاجي من الآليات الحجاجية اللغوية التي طبقت على نصوص من لغات أجنبية يمكن تطبيقها على نص نثري من تراثنا العربي فيعطي نتائج ذات أهميّة في الدراسات العربية الحديثة.

٦- إنّ المفاخرات الخيالية في النثر العربي من الموضوعات التي تصلح لتطبيق نظرية الحجاج وآلياتها اللغوية ؛ كونها نصاً يحمل طابعاً حجاجياً .

هوامش البحث:

(١) فن المفاخرات في العصر العثماني، دراسة مقارنة بالفنون الأدبية الأخرى، د. زينب محمد صبري بيره جكلي:١٤٩ ، بحث مجلة التجديد، الجامعة الاسلامية العالمية ماليزيا، مج١٥/ع٣٠/سنة٢٠١١م.

(٢) نفسه :١٤٩.

(٣) ينظر:المناظرات الخيالية في أدب المشرق والمغرب والأندلس دراسة نقدية، د. رغداء ماريديني، دار الفكر، دمشق،٢٠٠٨ :٤٧-٤٨.

(٤) نفسه:٤٨ .

(٥) اللغة والحجاج:٢٠.

* كذا، والأصوب الآتيين.

(٦) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٧٧.

(٧) بلاغة الإقناع في المناظرة:١٠١.

(٨) ينظر: اللغة والحجاج:٢١.

(٩) ينظر: اللغة والحجاج:٢٥. وينظر: أليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي بن ظافر الشهري، بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج١: ٩٥.

(١٠) ينظر : التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨ :٢١.

(١١) ينظر:الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، د. رضوان الرقبي، بحث مجلة عالم الفكر، ع٢، مج٤٠، اكتوبر-ديسمبر، ٢٠١١: ٩٣.

(١٢) ينظر: آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج١ :١١١.

(١٣) ينظر:الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله:٩٣.

(١٤) السلالم الحجاجية في المناظرة الواسطية لابن تيمية مقاربة تداولية، الضاوية لسود، بحث ضمن كتاب التحليل التداولي للخطاب، سلسلة لأن، ع ٧، تحرير د. عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياب ، لندن، ط١، ٢٠١٨ : ٢٢٠.

(١٥) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم:٣٧٠.

(١٦) يُنظر: السلالم الحجاجية في المناظرة الواسطية لابن تيمية مقاربة تداولية : ٢٢١ -٢٢٢.

(١٧) يُنظر : المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية:١٠٨.

(١٨) ينظر: الحجاج اللغوي في مؤلفات الشريف المرتضى، زهرة حميد عودة، اطروحة دكتوراه ،الجامعة المستنصرية ،كلية التربية،٢٠١٦: ١٥٦.

(١٩) ينظر: آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج١ :١٠٩.

(٢٠) ينظر: الحجاج اللغوي في مؤلفات الشريف المرتضى:١٥٥ - ١٥٦.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩

(٢١) ينظر : اللسان والميزان، د. طه عبد الرحمن : ٢٧٦.

(٢٢) ينظر : اللسان والميزان، د. طه عبد الرحمن : ٢٧٦.

(٢٣) ينظر: اللغة والحجاج:٢٢-٢٥.

(٢٤) اللسان والميزان:٢٧٨.

(٢٥) ينظر : اللغة والحجاج:٢٢.

(٢٦) اللسان والميزان:٢٧٨.

(٢٧) ينظر :اللغة والحجاج:٢٢.

(٢٨) نفسه:٢٣.

(٢٩) اللسان والميزان:٢٧٧.

(٣٠) مفاخرة الرز والحب رمان أو المقامة السماطية:٦٧.

(٣١) المصدر نفسه:٦٩.

(٣٢) سورة الفرقان:٢٠.

(٣٣) مجموع المقامات اليمنية،(كاشفة الغمة في المفاخرة بين النخلة والكرمة):٢٤.

*المين: الكذب. لسان العرب :مادة (مين) ج١٣: ٤٢٥.

** المقصود ماء الورد.ينظر: نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار:١٠(الهامش٤).

(٣٤) نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار،(الجوهر الفرد في مناظرة النرجس والورد):١٠.

*اللجين: الفضة.

(٣٥) نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار،(الجوهر الفرد في مناظرة النرجس والورد):١١.

المصادروالمراجع:

*القرآن الكريم

١- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمودي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس.

٢- بلاغة الإقناع في المناظرة، د.عبد اللطيف عادل، بغداد ،ط١، ٢٠١٣.

٣- التحليل التداولي للخطاب، سلسلة لأن، ع ٧، تحرير د. عرفات فيصل المناع، مؤسسة السياب ، لندن، ط١، ٢٠١٨.

٤- التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨.

٥- الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٠.

٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١ه)، ط١، دار صادر بيروت.

٧- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١،

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩

.١٩٩٨

٨- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع ،ط١، ٢٠٠٦.

٩- مجموع المقامات اليمنية، جمع وتحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١، ١٩٨٧.

١٠- المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي،المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠١٤.

١١- مفاخرة الرز **والحب رمان أو المقامة السماطية، دراسة وتحقيق، إبراهيم خليل جريس، طبع في ألمانيا، harrassowitz verlag, Wiesbaden, 2002.**

١٢- المناظرات الخيالية في أدب المشرق والمغرب والأندلس دراسة نقدية، د. رغداء ماردينى، دار الفكر، دمشق،٢٠٠٨.

١٣- نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار، الماردينى- اليماني- المقدسي، تحقيق محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩.

البحوث:

١- الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، د. رضوان الرقبي، بحث مجلة عالم الفكر، ع٢، مج٤٠، اكتوبر-ديسمبر، ٢٠١١ .

٢- فن المفاخرات في العصر العثماني، دراسة مقارنة بالفنون الأدبية الأخرى، د. زينب محمد صبري بيره جكلي ، بحث مجلة التجديد، الجامعة الاسلامية العالمية ماليزيا، مج١٥/ع٣٠/سنة٢٠١١م.

الأطاريح والرسائل الجامعيّة:

١- الحجاج اللغوي في مؤلفات الشريف المرتضى، زهرة حميد عودة، اطروحة دكتوراه ،الجامعة المستنصرية ،كلية التربية،٢٠١٦.